ثانيًا

حـوارات الثـورة

(١)

حوار مع المفكر المغاربى «عبد العزيز بومسهولى»[*]

عبد العزيز بومسهولى: بالنظر إلى ما يحدث حاليًا من ثورات تسمى بثورات الربيع العربى، هل هذا يمكن بالنظر إلى الأحداث أن يسمى ثورة بالمعنى الفلسفى؟.

مصطفى النشار: أنا شخصيا أعتقد ذلك، لأنه لو نظرنا حتى إلى الشعارات والصور فى كل من بلاد الربيع العربي، سنجد أنهم رفعوا شعارات هى نفسها الشعارات التى نجدها فى ديباجة الميثاق العالمى للأمم المتحدة :الحرية، الإنسانية، الكرامة، والعدالة؛ وهذه الشعارات هى شعارات فلسفية أو هى نتاج جهد فلسفى من عصر التنوير حتى الآن، إن ما يتطلبه الإنسان فى أى زمان وأى مكان هو هذا، هو أن يعيش حرا، أن يشعر بكينونته،أن يحس أنه يعيش فى مجتمع عادل أن يشعر بكرامته، فلا يؤذيها مؤذٍ أو يتعدى عليها متعد أو مستبد .هذا جانب، الجانب الآخر أعتقد أن الكتابات التنويرية حتى فى الصحف اليومية السائرة ونحن نكتب فيها أنا شخصيا أكتب فى »الأهرام «بصفة شبه منتظمة وكان قبل ذلك يكتب الدكتور زكى نجيب محمود بصفة منتظمة والدكتور حسن حنفى يكتب فى »المصرى اليوم «بصفة منتظمة أيضا؛ فبعض الكتابات لفلاسفة أو مفكرين تُؤثر فى رجل الشارع مباشرة، والمصرى يقرأ هذه الصحف بالذات الأهرام والمصرى اليوم، وبالتالى لا نستطيع عزل هذه الثورات عن تأثرها بمن يكتبون، عن السيد يس وفهمى هويدى ومحمد سلماوى وعمار على حسن والعديد من الأسماء التى تكتب من منظور فلسفى وتؤثر بشكل أو بآخر فى الناس.

لكن المؤثر الأعظم فى هذه الثورة، بالذات الثورة المصرية، أن الإنسان المصرى كان يشعر بالظلم والغبن وغياب العدالة منذ فترة طويلة من نحو ثلاثين سنة، التراكم للشعور بهذا الظلم فى مختلف الميادين وبالفساد المستشرى فى البلد كان ينتظر الشرارة، وهذه الشرارة فجرها أيضا مجموعة من الشباب النخبة الذين يقرؤون ويعرفون كيف يستفيدوا من

(*) أجرى هذا الحوار أ.د. عبد العزيز بومسهولى المفكر المغاربى المعروف بتكليف من المجلس العربى للدراسات الاجتماعية ببيروت.

المنجــزات العلمية المعاصرة فى تحريك الجماهير، وبالتالى ليس فى المشــاريع الفكرية فقط ولا المفكرين النظريين فقط، وإنما أيضا الشــعور بالظلم والاســتبداد الذى عانى منه الشعب فى مختلف البلاد العربية كان ينتظر هذه الشــرارة، لأن كم من إنســان شنق نفسه قبل أن يحرق البوعزيزى نفسه وقبل أن يحدث هذا أمام مجلس الشورى المصري، لكن لم يحدث شيء، التراكم ووصول الوعى إلى درجة معينة لدى الناس بأهمية الثورة، وبأهمية أن يثوروا لكرامتهم وطلبا للعدالة والحرية هو الذى أوصلنا لهذه اللحظة.

عبد العزيز بومسهولى: هل تعتقدون بأن تغيراً سيطرأ على عمل الفيلسوف اليوم، أو بالخصوص على عملكم أنتم أولا كرئيس قســم الفلســفة وككاتب يمارس التفلســف كعمل يومى؟

مصطفى النشــار: لا شك أنه ثمة تغيير سيحدث، لأن بعد ٢٠٠ سنة من إذكاء الوعى النهضوى والمشاريع الفكرية الكبرى على الإطار النظرى، لابد أن يحدث نوع من التحول، الإنســان العربى الآن يطلب منا روشــتة (لكى ينطلق بها نحو المستقبل)، روشتة (للعلاج، وليست مجرد كلام نظرى تفسيرى.

عبد العزيز بومسهولى مقاطعا: هذا ما أثارنى فى كتابكم العلاج بالفلسفة.

مصطفى النشــار: هذا جانب، الجانب الآخر أنا شــخصيا مؤمن بالفلســفة التطبيقية منذ فترة وأعمل من خلالها وســبق أن عقدنا أول مؤتمر فلســفى دولى بقسم الفلسفة فى هذا الموضوع :الفلسفة التطبيقية، كان له عنوان فرعى الفلسفة التطبيقية لخدمة قضايانا القومية فــى ظــل التحديات المعاصرة، وخرجنا من هذا المؤتمر بتوصيات نفذتها على أرض الواقع، طالبنا أن تتاح الفلســفة التطبيقية للدارســين من مختلف الخريجين، فأقمنا دبلوم للفلسفة التطبيقية، يمكن أن يلتحق به أى متخصص فى أى مجال من المجالات ليدرس الفلســفة التطبيقية، ويدرس حقوق الإنســان ويدرس الأخلاق التطبيقية وحتى الأخلاق البيو – طبية ويدرس فلســفة البيئة، فلسفة الفعل، فلسفة المستقبل، فلسفة الحضارة فلسفة التاريخ، كل الفروع التطبيقية للفلسفة، ثم طورنا الأمر أكثر وأنشأنا برنامجا للفلسفة التطبيقية فى التعليم المفتــوح، يتقــدم له أى طالب بعد حصوله على الثانوية العامــة أو ما يعادلها ولو حتى أن حصــل على دبلوم صناعــة أو تجارة يتقدم لهذا البرنامج ويحصل على ليسانس الفلســفة، فى هذا الإطار) فى الفلســفة التطبيقية، يعنى نحن إذن نريد أن ننزل بالفلسفة إلى الشارع،

وحتى يسـرى ذلك مسـرى الحياة، أنا شـخصيا أحـاول منذ فترة أن أركـز على هذا فى الكتابـات، فقـد كان أول الكتـب التى كتبتهـا بعد الحصول على الدكتـوراة كتاب اسمه «فلاسـفة أيقظوا العالم»، هذا الكتاب حقيقة لم يكن مفاجئا لى أن يتفاعل معه الناس، لأن لدينا مقولات شائعة تتهم الفلسفة بأنها بعيدة عن الواقع وأنها لا تؤثر فيه لا من قريب ولا من بعيد، وأن الفلاسـفة أناس يبحثون عن قطة سـوداء فى حجرة مظلمة، فكل هذا هدمته فى هذا الكتاب منذ المقدمة التى تحدثت فيها عن الدور الحضارى للفلسـفة وأنه ينبغى أن نتخلص من الآن فصاعدا من جملة (بلاش فلسفة)، وكذلك من القول بأن الفلسفة تؤدى إلى الكفر والإلحاد، وكتبت عن عشرين فيلسوفا من تاريخ الفلسفة بدءا من الحضارات فى الزمن القديم حتى اللحظة الحاضرة، وخاصة عن الفلاسـفة أصحاب التأثير القوى فى عصورهم، وكيف نبتت أفكارهم من الواقع وكيف أثرت فى الواقع، يعنى من الواقع و إليه، بما فيهم حتى أفلاطون، بمعنى كيف نبتت أفكاره المثالية هذه من خلال واقع عاشه، وكيف أثرت فيما بعد فى عصره أو العصور التالية، على النمط نفسه كتبت منذ عامين كتاب اسمه التفكير الفلسفى، المهارات وتطبيقاتها، بمعنى أن مبادئ الفلسفة لا تنفصل عن المهارات التطبيقية وكيف يمكننا أن نستفيد منها فى حياتنا اليومية، فلا نقتصر فى دراستنا على معرفة معنى وأنواع الشـك عموما، وكذلك الأمر بالنسـبة للدهشة أو النقد أو التحليل كما استخدموا لدى الفلاسـفة، لكن الأهم دائما هو كيف طبق هؤلاء الفلاسـفة هذه المهـارات وكيف بدت فى كتاباتهم؛ فلو قرأت حضرتك هذا الكتاب سـتجد أننى أنتقل من المهارة واسـتخدامها على الصعيد الفلسفى إلى كيف يطبقها الإنسان العادى.

عبد العزيز بومسهولى: إلى كيف تصبح فلسفة عملية؟!

مصطفى النشـار: نعم، ليصبح الإنسان العادى قادرا على أن يشك ويستخدم هذا الشك فى الوصول إلى حقيقة تهمه، كيف ينتقد، كيف يقرأ نص، حتى لكاتب عادى ويميز بين مقدماته ونتيجته ويستطيع انتقاده إلى آخر هذا.

عبد العزيز: كيف يحل مشاكله.

مصطفـى النشـار: بالضبط، نريد هـذا، وكتبت أيضا بالعنوان نفسـه هذا عن التفكير العلمى، المبادئ والمهارات وكيفية تطبيقها، نحن نريد فى هذه اللحظة التاريخية أن يصبح كل فـرد مـن أفراد شـعوبنا العربية قادرا على أن يفكر بطريقة علميـة وقادر على أن يفكر

بطريقة عقلية فلسفية، لو نجحنا فى هذا أى فى إثارة الدهشة لديه وإذكاء قدرته على النقد والشك وكيف يمكن أن يستخدم هذا لن يتلقى تلقيا أية فكرة تلقيا سلبيا بعد ذلك، وعند هذه النقطة بالذات يمكن أن نكتشف لماذا يتلقى الناس من السلطة أى سلطة؟ لأنه ليس لديهم أداة للرد على ذلك، وليس لديهم أدوات للتساؤل عن ما تلقيه عليهم السلطة، سواء كانت سلطة دينية أو سلطة سياسية أو سلطة رجل دين أو حتى إمام مسجد، هو غير قادر على الرد، غير قادر على التحليل، غير قادر على المناقشة.

وإذا قمنا بتعليم أبنائنا المثقفين أولا هذه المهارات وانتقلت منهم إلى ذويهم نستطيع أن ننزل بالفلسفة إلى الشارع بدون أن نقول إنها فلسفة، وأنا من دعاة تعليم الفلسفة للأطفال ليس فقط للكبار، – أنا فى فترة من حياتى منم ٢٠٠٧ إلى ٢٠١١م تقلدت منصب عميد كلية رياض الأطفال –، ونقلتها من برنامج واحد إلى ست برامج، ومنها برنامجين للتعليم المفتوح، لكى نعلم أبناءنا منذ سن (صفر) إلى سن«٦» سنوات، ونكتشف نبوغهم المبكر، نعلمهم بطريقة غير تقليدية، هذا الكلام موجود فى أوربا وأمريكا بشكل واضح جدا، إن علينا أن نعلم الطفل الصغير كيف يتلقى الفكرة وكيف يتعامل معها دون أن ندخل له لا الفكرة ولا آليات التعامل حيث ينبغى أن يتعلم كل هذا من خلال اللعب، تبث فيه هذه المهارات الفكرية دون أن يشعر.

على فكرة، أريد أن أزف لك خبرا جميلا أن الدستور المصرى الحالى نص على أن مرحلة الطفولة المبكرة، موضع اهتمام الدولة، يعنى لن يكون التعليم الزامى من ست سنوات وإنما ستتولاه الدولة المصرية من سن صفر ثم رياض الأطفال وهذه هى المرحلة الذهبية فى عقلية الطفل العربى، التى نهملها نحن عادة .إن الدستور الحالى غير سن التعليم الابتدائى الإلزامى من ست سنوات وهى سن دخول المدرسة إلى سن ثلاث أو أربع سنوات ليسبقها مرحلة رياض الأطفال، إن نظمنا التعليمية الحالية تضيع فى إطارها نوافذ التلقى اللغوى والإبداعى عند الطفل، هذه النوافذ تغلق فى سن العشر سنوات، ويبقى بعد ذلك إذا لم تكتشف مواطن الإبداع عند الطفل ماتت، وإذا اكتشفتها ونميتها سار عندك مبدع، وفى سن العشرين ستجده عالما كبيرا أو مفكرا أو أديبا كبيرا، هذه المرحلة مهمة جدا وينبغى أن تهتم بها كل الشعوب العربية وكل الدول العربية وأن يكون التعليم الزامى منذ سن الطفولة المبكرة، وهذا الكلام ليس جديدا، فأفلاطون وأرسطو نادوا بذلك منذ القرن الرابع

قبل الميلاد، والأعجب من ذلك أن مصر القديمة كان فيها هذا النوع من الاهتمام، وأفلاطون قالها فى محاورة القوانين، قال إنه وجد فى مصر القديمة اهتمام بالطفل وهو لايزال فى بطن أمه، وكيف أنه لا يجب أن يترك للمربية أو الخادمة لتعلمه وإنما لابد أن تربيه الأسـرة، وتهتم به الدولة وترعاه فى صحته وغذائه وتعليمه، هذا هو الأساس لو أننا أردنا فعلا جيلا مبدعا فلا بد من سن صفر نكتشف مواهب أطفالنا ونعلمهم بشكل غير تقليدى، ونبث فيهم الإبداع، من سـن الخامسـة لا بد أن يتعلم مهارات التفكير الفلسفى والعلمى بطريقة عملية بدون حفظ، بمعنى أن ندربه عليها، وبعد ذلك نعلمه إياها بالشكل النظرى.

عبد العزيز بومسهولى: وبذلك تصبح الفلسفة كما اعتبرتم تسهم فى صناعة المستقبل؟

مصطفى النشار: بالضبط، وهذا هو موضوع آخر كتاب لى فى المطبعة، حيث الحديث عن المسـتقبل، فالمسـتقبل لن يتأتى عبر المشـاريع الفكرية العربية التقليدية لمفكرينا رغم كثرتهـا وأهميتها علـى صعيد الوعى النظرى، بل عبر مشـروع إجرائى براغماتي، هو ما أسميته الأورغانون العربى للقرن ٢١، أو الأورغانون العربى للمسـتقبل، نحن ما مشـكلتنا الآن؟ وكيف نتجاوزها وكيف نرسـم خططنا للمسـتقبل؟ أنا أتحدث فى البداية عن ما هى فلسفة المستقبل وما هى نبوءات الفلاسفة والعلماء للمستقبل الفلاسفة العالميين طبعا وانتقلت بعدهـا إلى العالم العربي، ما هى المشـاكل لدينا وحصرتها فى عشـر نقـاط وهى معوقات النهضـة والتقدم وكيف نتخلص منها؟ ثم حددت خمـس ركائز للنهوض، لو اهتممنا بها سـننتقل إلى المسـتقبل المنشـود، بدون الدخول فى إطارات نظرية عن الأصالة والمعاصرة، لأن فى رأيى هذه كانت إشكالية زائفة وتعبنا منها.

الركائز الخمسـة للنهوض لا أتذكر التفاصيل لكن على رأسـها إصلاح النظام التعليمى بما يسـمح بأن يبدأ من سـن الطفولة المبكـرة وتعليم مهارات التفكير الفلسـفى والعلمى، والركيزة الثانية هى النهوض بالبحث العلمى وتخصيص ميزانية محددة له سـنويا فى كل البـلاد العربيـة أنا أتحدث هنـا عن العرب، بمعنى لا بد أن يكـون هناك نهضة فى هذا المجـال تتيح أن نضخ ميزانيـات على صعيد مركزى للعالم العربـى، ليس على الأصعدة المحلية فقط لأن الدول التى تتوافر فيها رأسمال لابد أن تساهم فى إنشاء مركز قومى مثلا للترجمة، والترجمة العلمية بالذات، وهذه غائبة عنا نحن بالذات، فنحن نهتم بأن نترجم الأدب والفن وننسـى العلم والفلسـفة، وبعد ذلك الركيزة الثالثة : هى المشـاركة السياسية

والاستفادة من طاقات الشباب، والركيزة الرابعة هى الدخول فى عصر المعرفة وامتلاك آليات الدخول إلى عصر المعرفة، إذ لابد من الانتقال من عصر المعلومات إلى عصر المعرفة، الركيزة الخامسة :تجديد وإصلاح وتحديث الخطاب الدينى بالتركيز على الأصلين (القرآن والسنة) وهذا ما هو مشترك بين كل المسلمين، ليس هناك داعى لكل هذه الفرق ولكل هذه الانقسامات والصراعات بين سنة وشيعة، بين متطرفين ومعتدلين، والتركيز على ما هو مشترك، وما هو مشترك بيننا هو النصين، إذن لماذا نحن مختلفين ونتصارع سنة وشيعة سلفيين وإخوان إلخ.. ، يعنى لو أصلحنا الخطاب الدينى وكانت لنا الإرادة لهذا، والإرادة فى كل ما فات، أعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى أكثر من هذا، كل ما نحتاجه الخمس ركائز هذه.

وهناك ركيزة أخرى تحدثت عنها وهى البدء فورا فى بناء مشروع نهضوى سياسى، والمشروع النهضوى هذا من اللازم أن يكون وحدويا، ووحدوى هنا لا أقصد بها الوحدة العربية والكلام الكبير الذى تربينا عليه ونحن صغار، وإنما أقصد أن يكون لدينا إرادة سياسية بين كل الحكام العرب والشعوب العربية وأن يكون لنا ما يشبه اتحاد فيدرالى بين الدول العربية، الاتحاد الفيدرالى هذا ينبغى أن تكون له منظمات مركزية بينما نظم الدول المنتمية لهذا الاتحاد ستبقى كما هى لأننى أعتبر أن الديمقراطية بمعناها الغربى ليست إلزامية لنا، كل دولة عربية لها نظامها السياسى كما تشاء، لكن أن يكون هناك مركز أو حكومة مركزية عربية تكون من كل الأقطار العربية ويكون هناك مجلس رئاسى لهذه الوحدة مشكل من الرؤساء والملوك العرب يمكن أن يتناوبوا رئاسته. إن هذا مشروع إجرائى بسيط جدا ويمكن أن يكون بديلا لجامعة الدول العربية التى أثبتت فشلها فى إقامة أية نهضة عربية أو فى حل أية مشكلة عربية، إن هذا الاتحاد الفيدرالى يمكن أيضا أن يؤسس على غرار اتحاد الإمارات العربية، كل إمارة لها دولة مستقلة، وهناك هيئات مركزية، وهناك رئيس وزراء مركزى يأخذ وزراءه من كل الإمارات، هناك مشروعات وحدوية ومنجزات تتم على ميزانية الاتحاد، وهناك مشروعات و منجزات تتم على ميزانية المحليات أو الدول كالشارقة أو دبى أو أبو ظبى إلخ .إن هذه رؤيتى فيما يتعلق بمستقبل العمل السياسى العربى، إذ ينبغى أن نتجاوز خلافاتنا السياسية بالشروع فورا فى عمل اتحاد فيدرالى كهذا، بحسب ما يتم الاتفاق عليه بين الزعماء العرب، إذ يمكن أن يتم الاتفاق على دولة

يكون منها الرئيس ودولة منها رئيس الوزراء والأخريات منها الوزراء حسب الكفاءة والقدرة إلخ.،.. المهم أن يشكلوا لنا شيء يبعدنا عن منظومة جامعة الدول العربية لأنها ثبت أنها غير فعالة، بمعنى أن يكون لدينا وزارة مركزية ومجلس رئاسي مركزى ولدينا وزارات: وزارة صحة عربية، وزارة تعليم عربى، وزارة ثقافة عربية.. إلخ،.. هذه الوزارات تهدف إلى إنشاء نظم تسرى فى كل البلاد العربية وتستفيد من كل إمكانياتها لصالح كل شعوبها، ولا دخل لها بالنظام السياسى القائم بهذه الدولة أو تلك، أعتقد أن هذه صيغة ربما تكون صالحة أو بديلة للجامعة العربية بصورتها الحالية، لأنه واضح أن إصلاحها بهذا الشكل الذى هى عليه وبالقانون الذى تتبعه غير فعالة، هذا كان اقتراحى فى هذا الكتاب الذى أرجو أن يكون مفيدا فعلا فى رسم خارطة طريق واضحة ومحددة تصلح للنقاش حولها للخروج من أزمة التشرذم العربى بصورته الحالية التى لاترضى أحدا، إننا نعيش لحظة تحدى وجود كبرى، ونحن فيها إما أن نكون أو لانكون، وإذا أردنا أن نكون فليس أمامنا إلا التفاعل مع هذه الأفكار الإيجابية الجديدة كما تفاعل مع ما يشبهها الناس فى الغرب فى مطلع العصر الحديث مع بيكون وديكارت، ليس أمامنا إلا نتوحد وتتوحد رؤيتنا وفقا لمصالحنا العليا، إننا نعيش فى عصر الكيانات الوحدوية الكبيرة وإذا لم نصل إلى صيغة وحدوية تحقق المصلحة المشتركة للشعوب العربية ستدهسنا عجلة التاريخ وربما نكون أثرا بعد عين، فهل نسمح لأنفسنا بهذا التردى المهين بين أمم العالم بينما نحن خير أمة أخرجت للناس؟..!!

عبد العزيز: الأستاذ الدكتور مصطفى النشار شكرا لك.

❑❑❑

(٢)
حوار مع جريدة «المصرى اليوم»(*)

محمد كامل

أكد الدكتور مصطفى النشـار، رئيس قسـم الفلسـفة بجامعة القاهرة، أن تيار الإسلام السياسى انتهى بعد كشف عوراته واستغلاله الدين لتحقيق أغراض سياسية، مشددًا على أن جماعة الإخوان لم ولن تنجح فى مخططها لنشر الفوضى فى مصر، وإنما ستزيد الفجوة بينها وبين الشعب، لأنها تعادى شعبًا وليس نظاما.

وشـدد «النشار» على أن الفريق أول عبد الفتاح السيسـى وزير الدفاع والإنتاج الحربى بطل شـعبى، لكن مسـتقبل مصر يقتضى وجود رئيس مدنى يدعمـه الجيش، وفى حال ترشـحه لابد أن يسـعى لفصل الجيش عن السياسـة، موضحًا فى الوقت نفسه أن فرص مرشـح الإسلام السياسـى فى الرئاسة سيئة نظرًا لانخفاض شـعبيتهم، ولكن الخوف من الانتخابات البرلمانية المقبلة.

وإلى نص الحوار:

■ كيف ترى المشهد السياسى الحالى؟

– المشهد الحالى لا يحكم عليه من ظاهره، إنما هناك مبشرات لابد من التركيز عليها بدلاً من التركيز على المشـكلات الحالية، ومنها على سـبيل المثال أننـا بدأنا ننوع مصادر السـلاح والتمويل، وبدلاً من الاعتماد على المعونـة الأمريكية والبنك الدولى اتجهنا إلى أشقائنا فى العالم العربى واستثماراتهم، بجانب استقبال الوفد الروسى رفيع المستوى، وهذه المبشرات سـيكون لها انعكاسات إيجابية على الحياة السياسية والاقتصادية فى مصر فى المستقبل القريب.

ولابد أن أؤكد أننا إذا رسمنا سياسات بلدنا على ردود أفعال الآخر لن نتقدم، وبالتالى لابـد أن نتجاهل ردود الأفعال دون الالتفات إليها والمضى قدمًا نحو هدفنا المحدد، ولابد

(*) أجرى هذا الحوار الكاتب الصحفى محمد كامل لصحيفة المصرى اليوم.

أن نتوسع الآن فى تنويع صداقاتنا بالعالم غربًا وشرقًا، وأنا شخصيًا أرى أن هناك ضرورة للتوسع شرقاً، لأن الشرق هو من سيقود العالم فى ٢٠٢٠م وفقاً لرؤية فلاسفة ومفكرى العالم بقيادة الصين واليابان، وتعدد علاقاتنا ليس له علاقة على الإطلاق بالضرورة أن نقطع علاقتنا بأمريكا، بالإضافة إلى التوغل فى أفريقيا لعدة أسباب منها تأمين منابع النيل وباعتبارها كانت سوقًا مصرية لابد أن نهتم بها.

■ ما تقييمك للتيارات الليبرالية والإسلام السياسى بعد ثورة ٣٠ يونيو؟

– الإسلام السياسى انتهى تماماً وانكشفت عوراته أمام الشعب الذى أدرك أن المسألة سياسة وليست دينا وأنهم يستخدمون طريقة الغاية تبرر الوسيلة، وللأسف الوسيلة غير شريفة، ولم يقدم هذا التيار أى برهان على انتمائه لمصر والمصريين.

أما التيارات الليبرالية فتضاءل حجمها، لأنها للأسف إلى الآن تركز على إقناع النخبة وعلى الحوار بين أطرافها وليس بينهم وبين المجتمع، وبالتالى القواعد الشعبية غير موجودة، فضلاً عن أن أهدافهم غير واضحة للناس، ولا توجد زعامات بينهم تمكننا من اختيار الرئيس القادم من بينهم، والشخصيات التى قدمت نفسها قبل ذلك لم تعط برامج طموحة.

لكن دائما لدينا أمل فى إفراز قيادات جديدة تكون على الساحة ولابد أن نبحث عنها ولا ننتظرها لأننا للأسف فى مصر ننتظر «المنقذ» بدلاً من البحث عنه وإبرازه، كما يحدث فى أمريكا والغرب فهم يصنعون القيادات.

■ كيف ترى مظاهرات أنصار الرئيس المعزول محمد مرسى؟

– دائما أرى الآخر من زاويتين، الأولى مما يراه الآخر، والثانية كيفما أرى أنا الآخر، والإخوان مازالوا يعتقدون أن الشرعية معهم لأن البديل الشرعى غير موجود، وهنا لابد أن أذكر بأن السلطة الحالية أخطأت خطأً بسيطًا، حيث كان لزامًا عليها أن تطرح «خارطة الطريق» إلى الاستفتاء لإسقاط ما يزعمونه من شرعية، وأرى أن هذه المظاهرات ستستمر إلى أن يتم الاستفتاء على الدستور الجديد، ونتجه إلى الانتخابات البرلمانية والرئاسية، وهنا سيتم دحض الحجة الواهية التى يتحدثون عنها لأن الشعب هو الشرعية ومصدر السلطات.

أما مخطط الفوضى فالجماعة لم تنجح ولن تنجح، لأن المظاهرات ليست ضد النظام الآن، وإنما ضد وطن وشعب.

■ كيـف ترى محاكمة الرئيس المعزول وعدد من قيادات الجماعة؟ وهل تتوقع صدور حكم فى وقت قريب؟

– هنـاك أخطاء بالغة وقعت فى حق الشـعب المصرى فى فترة حكـم الرئيس المعزول محمد مرسـى، ومادمنا حاكمنا مبارك لابد أن يحاكم مرسـى، فضلاً عن أن الأخير ليسـت له إنجـازات تغفر له خطايـاه، والعدالة الناجزة هنا مطلوبة، حتـى يعلم كل من يصل إلى الرئاسـة أنه خادم للشـعب، وليس سيدًا عليه، والشعب واعٍ تمامًا ولن يسمح بسيد يسود عبيدًا، وإنما رئيس يقود شـعبًا، والتاريخ المصرى يؤكد أن شـيئًا واحدًا يجعل المصريين يلتفون حول الحاكم لدرجة التقديس وهو العدالة، وعندما يخرج الحاكم عنها يخرج عليه الشعب مهما طال الاستبداد أو قل، لكن للأسف لا أحد يرجع للتاريخ حتى يتعلم.

■ ما رأيك فى مخرجات لجنة الخمسين للدستور.. وكيف ترى مشاركة حزب النور؟

– لا توجد تفاصيل كاملة عن الدسـتور، لكن أهم ملاحظاتى على لجنة الخمسـين أنه ليس بينهم فيلسوف، رغم أن الفلاسفة هم من يضعون ديباجة الدساتير فى العالم، والذى صاغ ميثاق الأمم المتحدة الفلاسفة والتى جاءت بعدها كل مواد حقوق الإنسان.

أما حزب النور على رغم حداثته فهو واعٍ لدوره، ويحافظ على أن يكون جزءا من نسيج الشـعب المصرى رغم الاختلاف، وهنا الأزمة لدى الإخوان وليس فى حزب النور، وأرى أن مشاركته ربما تكون «طوق نجاة» لتيار الإسلام السياسى فى مصر والعالم العربى، ولابد أن تتعلم الجماعة من النور.

■ ما تقييمك لأداء حكومة الدكتور حازم الببلاوى؟

– الحكومة الحالية بها مجموعة مميزة من الوزراء، لكن يعيبها التباطؤ فى اتخاذ القرار رغم أنها تمتلك الشـرعية الثورية، وهى حكومة خطيرة جـداً وتأثيرها بالغ الأهمية فى مدى ٥٠ سنة قادمة رغم قصر مدتها، لأنها تضع أساسات المرحلة المقبلة وليست مجرد حكومة انتقاليـة، وضعفهـا نابع من بعض الـوزراء الذين يفكرون فيهـا باعتبارها مجرد حكومة انتقالية فقط، حتى وإن كان لها إنجازات قد تظهر فى المدى القريب.

■ بم تصف المرحلة الحالية فى تاريخ مصر؟

– المرحلـة هـى مـا كنا نطمح إليه من ٢٠٠ سـنة مـن بداية اصطـدام المصريين بالحملة الفرنسـية، والمرحلة الحالية تقوم على عقـد اجتماعى جديد، والثوابت المصرية تحت الاختبار الآن، والثوابت هى «الكل فى واحد»، لأننا لا نعرف التمييز أبداً ما بين مسلم

ومسيحى، أو مسلم سنى وشيعى، وإذا ثبتت الثوابت مع دستور جديد وأعيدت هيكلة النظـام الاقتصـادى وتحققت العدالة، فلن تمر ١٠ سـنوات إذا خلصت النوايا بوجود حكومات تعمل لمصلحة الشعب وسنكون فى مصاف الدول المتقدمة، لأن مصر لديها كل الإمكانات الطبيعية والبشرية التى تؤهلها إلى ذلك، فضلاً عن أن المصريين من الشعوب القليلة التى تحب وطنها حبًا شـديدا للغاية ولا يحتاج المواطن سـوى الفرصة كلٌ فى تخصصه.

■ ما رأيك فى قانون التظاهر الذى صدر أمس الأول؟

– قانـون التظاهـر مطلوب الآن، ويوجد له نظير فى أنحاءِ العـالم، المهم هو تطبيقه بكل حزم وحسم حتى تستقر الأوضاع، ونتجه إلى الإنتاج بدلاً من التظاهر وتعطيل مؤسسات الدولة.

■ كيف ترى حظوظ «الفريق السيسى» فى الفوز بالرئاسة فى حال ترشحه؟

– الفريق السيسـى ذو شعبية طاغية، لكن السؤال الذى نفكر فيه أيهما أصلحٍ – وللحقيقة الله يكون فى عونه – لأن أمامه أمرين: أن يظل بالقوات المسـلحة محافظا على مصر داخليًـا وخارجيًا، أو أن ينتقل لموقع القيادة فى الرئاسـة، وهـذا الانتقال رغم أن له مميزات كثيرة لكن له سـلبيات، حيث سـيقال إننا عدنا إلى حكم الجيش مرة أخرى، ومستقبل مصر يقتضى أن يكون هناك رئيس مدنى يسانده الجيش، لكن كل ما أخشاه النفس البشـرية لهذا الشـخص المدنى أن يكون أول قراره الإطاحة بقائد الجيش لأنه أكثر شعبية.

■ كيف ترى حظوظ مرشح الإسلام السياسى فى حال الاتفاق على مرشح والدفع به؟ وكيف ترى حظوظهم فى البرلمان؟

– بالنسـبة للانتخابات الرئاسـية الأمر أصبح فى غاية السـوء لأن شـعبية تيار الإسـلام السياسى انخفضت بشدة.

أمـا الانتخابـات البرلمانية وهذا ما أخشـاه بالفعل لأن التيارات الإسـلامية مازال لها جذور يمكن تنشـيطها فى أى وقت، وإذا حازت على الأغلبية فى البرلمان القادم سـيكون الأمر شديد الخطورة لأن الدستور الجديد يتجه لمنح رئيس الوزراء صلاحيات كبيرة وسيتم اختياره من أغلبية البرلمان، ولذلك لابد أن تتحالف جميع القوى والتيارات المدنية بدءاً من حركة تمرد وحتى الأحزاب والائتلافات السياسية، لكن إذا استمروا فى الفرقة والتناحر و «تقسيم التورتة» سيكون الوضع فى مصر فى منتهى الخطورة.

(٣)
حوار مع جريدة «أخبار الأدب»(*)

بعد رحلة طويلة فى محراب العلم والفلسفة، أسفرت عن مجموعة من الأبحاث والمؤلفات فى هذا المجال، أحدثها (فى فلسفة الثقافة، والنقد الثقافى، والعلاج بالفلسفة) وحصوله على جوائز متعددة، تؤكد تفرده.. هذا التفرد الذى جعله محط أنظار تلاميذه الذين حصلوا على يديه على درجات الماجستير والدكتوراه، وأصبحوا – الآن – زملاء له فى القسم ذاته، لذا لم يجد الدكتور مصطفى النشار، أية صعوبة فى أن يحصل على رئاسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة بالانتخاب، فهو صاحب رصيد علمى حافل.

ترى.. ماذا يدور فى ذهن أحدث رئيس قسم للفلسفة؟ وإلى أى حد يستطيع د. النشار أن يتجاوز أسوار الحرم الجامعى، وينطلق بالفكر الفلسفى إلى الخارج مع رجل الشارع؟ وهل تنزل الفلسفة من برجها العاجى إلى الشارع لتلبى احتياجات الوطن والمواطن فى هذه الفترة التى تتسم بالضبابية وغياب الرؤية الواضحة!

ذهبت إليه وفى ذهنى هذه الأسئلة، التى هى مثار الدهشة الفلسفية.. لعلى أظفر بإجابة واضحة محددة، وفى الطريق إليه كان السؤال الكبير!

غياب العدالة ما دور الفلسفة حاليًا وفى ظل المتغيرات التى شهدها ويشهدها المجتمع المصرى بعد ثورة ٢٥ يناير؟

«لى دراسة حول أوجاع المجتمع المصرى، قدمتها قبل ثورة ٢٥ يناير، لخصت فيها كل الأوجاع التى يعانى منها المصريون، وكان الوجع الرئيس فيها، هو غياب العدالة، أما بقية الأوجاع فكانت: الانفصال بين الأقوال والأفعال، فضلا عن انقلاب سلم القيم».

ورغم قيام ثورة يناير، فإن غياب العدالة مازال قائما، كان الخطاب السياسى فى مصر القديمة يدور حول إله العدل (ماعت)، الشعب يطلب من الحكومة ال (ماعت) وأن الملك حينما كان يوصى الوزير الأول فى خطاب التكليف يوصيه بالعدالة (الماعت)، وهذه تقاليد الحكم فى الدولة القديمة علمتها للعالم، والشعب حينما يشعر بغياب العدالة ليخرج

(*) أجرى هذا الحوار لأخبار الأدب الأستاذة/ منى نور.

للمطالبة بضرورة عودتها من جديد، وهذا ما نقرأه فى شـكاوى القروى الفصيح وفضلا عن غيـاب العدالـة، تعانى – أيضا – من غياب اللغة العلمية الدالة على وقائع، حيث توجد لغـة خطاب سـائدة لا واقع لها، تعتمد علـى التهويمات والعبـارات الرنانة التى تصف الحاضر والمستقبل دون واقع تشير إليه.

مهمة الفلاسفة

متى تكون الفلسفة ورجالها جزءًا من حركة الشارع، يلتحمون بالإنسان المصرى، خاصة فى هذه المرحلة الحرجة من عمر الوطن؟

– يشترط لنزول الفلاسفة إلى الشارع أن يلتحموا أولا بالمثقف العام، فمن المستحيل أن تنزل الفلسفة إلى الشارع دون وسيط لأن رجل الشارع الأمى، غير جاهز لتلقى أى فكر فلسفى مكتوب بأى مستوى.

وما هى المهمة الأولى للفلسفة؟

– فـى رأيى أن مهمتنا الأولى هى تبسـيط الفلسـفة، فيمكن لكل قـارئ أن يفهمها، وهذا دور بدأه أسـتاذنا الدكتور زكى نجيب محمود، ونحن نسـير على دربه فقد كتبت عن فلاسفة أيقظوا العالم حتى نستطيع أن نفهم أن للفلسفة دورا فى إيقاظ الوعى، وتحريك الجمـود، والدفـع نحو التقدم، بدءًا من إخناتون فى مصـر القديمة، مرورا بأفلاطون، وانتهـاءً بماركـس وتوينبى الإنجليزى الـذى تنبأ منذ عـام ١٩٤٧م بانهيار الحضارة الغربية، وأن دول شـرق آسيا هى التى سـتقود الدورة الحضارية القادمة وعلى رأسها الصـين، وقد أكدت على ذلك من خلال الدراسـات الأحـدث حول الوضع فى أمريكا وأوروبا فيما بعد العولمة.

موت الفلسفة

على ذكر ماركس، هل انتهت الفلسـفات الأربع التى سـيطرت علـى العالم فى القرن العشرين: الماركسية، والتحليلية، والوجودية، والبرجماتية؟

– الفلسفة لا تنتهى ولا تموت، لأن الفكرة الفلسفية أيا كان صاحبها، فكرة تتجاوز الزمان والمكان، فإن خبت فى عصر، قد تشـتعل وتؤثر فى عصر آخر جديد، فالماركسـية أول ما ظهرت انتشـرت بشـكل كبير فى دول أوروبا الشرقية، لأنها كانت مناسبة للحظة

التاريخية التى ظهرت فيها وتعيشها أوروبا الشرقية، وحينما تجمدت أفكار ماركس، ودون أن تجدد نفسـها، كان لابد أن تسقط، بينما على الجانب الآخر، حينما هددت الماركسـية.. الرأسمالية، طورت الأخيرة من نفسها، فأدخلت قوانين العمل، وإعانات البطالة، بمعنى أنها أدخلت البعد الاجتماعى على الاقتصاد الحر، من هنا فإن الفلسفة فى الغرب، تقود العالم، هناك بحث عما يسـمى الطريق الثالث، وعن دور الدولة فى عصر العولمة، هل سـيكون كما هو أم سيتغير، وماذا بعد عصر العولمة، هذه التساؤلات تقود الإنسان الغربى نحو التطوير، والتجديد، بينما نحن لا نتفاعل مع أفكار الفلاسفة ولا نقرأ لهم، ولا نهتم بما يقولون، وعندما يصدر كتاب ليرشد ويحذر، ويفسر، ويدعو إلى التجديد والتطوير، فلا يقرأه أحد ولا يناقشه أحد حتى النخبة! !

وما السبب فى ذلك من وجهة نظرك؟

- بسـبب غياب ثقافة التقدم فى المجتمع، فمـن عناصر ثقافة التقدم، التحليل، والنقد، والحوار، ومتابعة كل ما ينتجه الآخرون من إبداعات، نحن نرزح فى ثقافة التخلف، وغيـاب الحوار، وعـدم تقبل النقد، والعيش فى جزر منفصلة، كل يتصور أنه أتى بما لم يأت به الآخرون أو ينسى أن هناك آخر يمكن أن يكون لديه شيء يستحق القراءة، والتأمل، والمناقشـة، وأضيفـى إلى كل ذلك ضعف البحث العلمـى، وغيابه، وغياب الإبداع، والخيال.

آراء مخالفة

لماذا لم يظهر على الساحة فيلسوف عربى حتى الآن منذ ٨٠٠ سنة بعد ابن رشد؟

هـذه الكلمـات تقال دون بحث، لأن الواقع يقول إنه بعد ٢٠٠ سـنة من ابن رشـد، ظهر ابن خلدون وهو فيلسـوف وعالم وصفه المؤرخون كأنه العملاق وسط قبيلة من الأقزام، ووصفـه آخـرون كتابه (مقدمـة ابن خلدون) بأنـه صاحب أعظم كتاب ظهـر على وجه الأرض، ومـن الاطلاع على ابن خلدون ظهرت العلوم الاجتماعية، وعلم السياسـة، وعلم التاريـخ، وفى أوروبـا كانوا يطلقون على «فيكو» ابن خلدون الغرب، نظرًا لتأثر فيكو بابن خلدون، وفيكو هذا مؤسـس علم فلسفة التاريخ.ثورة يناير لم تحقق العدالة دول شرق آسيا هى التى تقود العالم لغة الخطاب السـائدة تعتمد على التهويمات والعبارات الرنانة ونحن الآن لدينا مسـتوى آخر من الفلاسـفة، ليس من المهم أن يكون الفيلسوف صاحب مذهب

فلســفي متكامل، لأن العصر لا يســمح بذلك، حيث إن الفلاســفة أصبحــوا كالعلماء كل منهم مشــغول بقضية، ويطرح الحلول بشأنها، ومن هذا المنطلق كان د. عبدالرحمن بدوى صاحب مذهب، وقد عبر عنه فى كتاب (الزمان الوجودي) ســبق به ســارتر فى (الوجود والعــدم) ولدينا زكى نجيب محمود فى كتاباته الشــهيرة عــن التجديد فى الفكر العربي، والمعقول واللامعقول فى الفكر العربي، كما لدينا فؤاد زكريا وفلسفته العلمية، وحسن حنفى ومشــروعه فى التراث والتجديد، ومحمد العابد الجابرى ومشــروعه الفكرى فى نقد العقل العربي، وغيرهم كثيرون.. كما أن لدينا مشــاريع فكرية وإسهامات مهمة فى الفكر العربى المعاصر.

صناعة الفيلسوف

لماذا لم يظهر فيلسوف عربى منذ ابن رشد حتى الآن؟

- لدينا اجتهادات، لكنها لا تلقى التقدير والاهتمام، كان لدينا نصر حامد أبوزيد، فاتهمناه بالكفر، ولدينا حسن حنفى، معروف عالميا أكثر منه محليا، وكان لدينا د.زكى نجيب محمود، ولم نســتفد منه، وكتبه دالة علــى قيمته العلمية، مثل(تجديد الفكر العربى، المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى) نحن نتصور الفلســفة تصورا خاطئا، فالفلســفة مثلها مثل العلم، تعالج القضايا الملحة التى يعانى منها البشــر فى هذا العصر، وهكذا الأمــر فى أوروبا والغرب. وهكذا نحن فى الشــرق العربى والإســلامي، فحينما يكتب زكى نجيــب محمود من تجديد الفكر العربى، وحينمــا يكتب محمد عابد الجابرى، نقد العقل العربي، وحينما يكتب حســن حنفى عن التراث والتجديد، وحينما يكتب آخرون على النحو نفســه، فنحن هنا ننتج فلســفة، ولدينا فلاسفة يفكرون لنا، فعندما واجهنا مشــكلة العولمة، وكتبنا عن العولمة، وما بعد العولمة، فهذا إنتاج فلسفى، وهذه حلول فلســفية لقضايا مجتمعية ملحة، فالكتابات الفلسفية لا تأخذ دورتها المجتمعية حتــى يكــون لصاحبها وجود فعلى مؤثــر فى الحياة الفكريــة والثقافية، وحتى يكون لأفكاره نفســها تأثير فى نقل المجتمع من حال الركود إلى حال التفاعل مع ما يجرى من إشكالات وقضايا.

وماذا على مستوى قسم الفلسفة؟

- نحن فى قسم الفلسفة حاولنا أن ننتقل من المثال إلى الواقع، من الفلسفة النظرية، ودراسة تاريخها المعلب فى أقســام الفلســفة إلى ما يســمى الآن فى العالم بالفلسفة التطبيقية،

بما يعنى الفلسفة التى تستهدف تحليل المشكلات التى يعانى منها الواقع الفكرى والمجتمعى لإيجاد الوعى بها والحلول لها، فمن الناحية العلمية عقدنا مؤتمرا عام ٢٠٠٤م بعنوان "الفلسفة التطبيقية لخدمة قضايا القومية فى ظل التحديدات المعاصرة" وصدرت دراسات هذا المؤتمر فى كتاب يحمل هذا العنوان عام ٢٠٠٥م، ثم تلا ذلك أن أنشأنا دبلوما للفلسفة التطبيقية بدأت الدراسة فيه فعلا من العام الماضي، ونحن نفتح فيه الباب على مصراعيه كى يلتحق به أى خريج من أية كلية أو جامعة، لاستكمال دراساته العليا وتنويره، لأن الفلسفة التطبيقية بها دراسات بينية كثيرة متشابكة مع دراسات الكليات العلمية والإنسانية والاجتماعية الأخرى، ومع ذلك لم يلتحق بهذا الدبلوم سوى عشرين طالبا فقط. ولكى نقترب أكثر من المجتمع إيمانا بدورنا، أنشأنا برنامجا كاملا للفلسفة التطبيقية فى التعليم المفتوح منذ عام ٢٠٠٦م، وبدأت الدراسة فيه هذا العام، والتحق به خمسة وخمسون طالبا، منهم مهنيون وخريجو إعلام.

أزمة نخبة لا شعب

أنت كأستاذ فلسفة كيف ترى المشهد الثقافى؟

- أزمة الثقافة فى مصر أزمة نخبة أكثر مما هى أزمة شعب.. الشعب المصرى أكثر وعيًا وأعمق رؤية من كثيرين يكتبون عنه وينظرون له. نحن نحتاج إلى تغيير نمط تفكيرنا من التفكير العقلى البسيط الساذج إلى التفكير العقلى النقدى التحليلى الذى يقبل الرأى والرأى الآخر، والذى يولد القدرة على الإبداع.

وماذا عن برنامج القسم من الناحية العلمية؟

- نحن الآن بصدد إعادة سيمنار قسم الفلسفة، ودعوة كل المهتمين إليه، فضلا عن تأسيس مركز الدراسات الفلسفية لنتواصل من خلال مع الجمعيات والمراكز المهتمة بالفكر الفلسفى العربى. مشهد ملتبس

كيف ترى المشهد الثقافى الآن؟

المشهد الثقافى الآن ملتبس وغامض، يعيدنا إلى مائتى سنة إلى الوراء.

كيف؟

حينما اصطدمت الثقافة العربية بثقافة الاستعمار الغازي، انقسمنا إلى ثلاث فرق متصارعة، فرقة تقول بترك التراث وتقليد الأجانب، وأخرى تقول بالاستناد إلى التراث

العربى الإســلامى، أما الثالثة فهى تطالب بالتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، والحقيقة أن هذه القضية ظهرت حتى الآن زائفة، رغم أنها تعيد المشهد بكل تفاصيله، التيارات الإسـلامية تتمسـك بالتراث، وتريد بنا العودة إلى الوراء، والليبراليون يقلدون الغرب، المشـهد نفسـه لا نحن قادرون على إعادة تراثنا، ولا نحن قـادرون على أن نبعد عن الحضارة الغربية، وعدم التأثر بها، نحن بالفعل أبناء القرن العشرين الحادى والعشرين، لابد أن ينعكس علينا التقدم شـئنا أم أبينا، وفى الوقت نفسـه نحن مسلمون، لا نقبل بضيـاع هويتنا، العربية المصرية فـى خضم الهوية الغربية، وبالتالى ستشـكل داخلنا خليطاً من الأمرين دون أن نحس، نتعامل مع العصر بآلياته وثقافته دون أن نفقد هويتنا العربية والإسلامية مهما حدث.

❑❑❑

(٤)
حوار مع جريدة «الجريدة» السعودية.(*)

أكد رئيس قسم الفلسفة فى كلية الآداب – جامعة القاهرة الدكتور مصطفى النشار أن الفقر هو الفتنة الكبرى التى يجب اجتنابها، وأن الخلافة كنظام سياسى ليست من صميم القرآن والسنة النبوية، بل هى نظام سياسى ناتج من اجتهاد المسلمين. وأضاف، فى حوار مع «الجريدة»، أن الإسلام دين علمانى بطبعه والفتنة مخطط غربى تنفذه أياد عربية، ضاربًا المثل بالأحداث فى سوريا وليبيا، قائلاً إن المنطقة تعيش مرحلة نكون أو لا نكون، وأشار إلى أن التعليم المدنى بداية الطريق للقضاء على الفتنة الطائفية فى المجتمع العربى .فى ما يلى نص..

ماذا تعنى الفتنة من وجهة نظرك؟

هى استخدام لتعبير له ظل دينى فى مجال تعريف خلاف سياسي، وهى كلمة فى الأصل لم تنشأ سوى فى التراث العربى الإسلامى، منذ الخلاف بين الإمام على بن أبى طالب، وبين معاوية بن أبى سفيان، ومع واقعة رفع المصاحف على أسنة الرماح بين المتحاربين فى موقعة صفين بدأت الأزمة، رغم أنه خلاف سياسى بحت، فلو جنبنا الاستخدام والتفسير الدينيين سنجد أنها مجرد خلافات فى وجهات النظر، لأن الرسول لم يحدد للمسلمين حاكمًا، والخلافة لم تكن من صميم القرآن والسنة، وهى اجتهاد فى كيفية إدارة أسلوب الحكم.

كيف انعكست الفتن السياسية ذات الطابع الدينى على الواقع؟

أصبحت لدينا فِرَق ليس لها رأى سياسى فحسب، ولكنها تتصور أنها تملك الحل والعقد فى ما يتعلق بتفسير النص الدينى، رغم أن الأصل موجود ومحفوظ وهو القرآن والسنة، وباب الاجتهاد فيه لم يغلق .بالعودة إلى الأصل، نجد العوامل المشتركة أكثر من المختلفة. وإذا أردنا أن يكون لنا موقف حضارى قوى بين التحالفات القوية فيجب

(*) أجرى هذا الحوار الكاتب الصحفى الأستاذ بهاء عمر لصالح جريدة «الجريدة» التى تصدر بالمملكة العربية السعودية ونشر يوم ٢٦ يوليو ٢٠١٤م.

أن نبحث عن المشترك فى دائرتنا العربية والإسلامية بصرف النظر عن المعتقدات المذهبية، لا سيما أن تصدر بعض المتطرفين المشهد حوَّل الدعوة الدينية إلى حرب باسم الدين.

ما هو تأثير احتكار البعض لتفسير النص الدينى؟

منــذ أن أغلــق البعض باب الاجتهاد وإعمال العقل الذى هو أحد أصول الدين، تم فتح الباب لمن يسمون بتيارات الإسلام السياسي، التى تستند إلى تفسير دون غيره وتتحيز إليه، وتتطرف فى الدفاع عن آرائها، لأن أنصارها لم يقرأوا النصوص بتأويلاتها.

يستند بعض المعاصرين فى فتاوى غريبة ومتطرفة أحياناً إلى أسماء فقهاء لهم اعتبارهم لدى المؤسسات الدينية حتى الوسطية منها.. كيف تفسر ذلك؟

لا يمكننا إيجاد حلول للقضايا المعاصرة كافة بالرجوع إلى أقوال وفتاوى أئمة ســابقين، والدليل أن الإمام الشــافعى مثــلاً غيَّر فتاويه بتغير البقعة الجغرافيــة التى يكون موجوداً فيهــا، ما يعنى أن إبداء الرأى فى قضيــة لا تنبغى معه العودة إلى قول أحدهم، بل علينا دراسة الأصول ثم الاجتهاد، في إطار مراعاة الظروف الاجتماعية التى يمر بها المجتمع، وكما قال الإمام الغزالى: «العقل أس الشرع، وما لم يكن أس لم يكن بناء». وإذا أفتى أحدهم بما يخالف العقل فإنه خرج مباشــرة عن الدين .كذلك قال بعض الفلاسفة :«العقل خليقة الله، والشرع وحى الله، والحق لا يمكن أن يضاد الحق»، ومع أن الإسلام قدم حفظ النفس على ما ســواه، نجد المتطرفين يبررون لأنفســهم دينيًا قتل مخالفيهم ممن يدينون بالدين نفســه، وهذا تفسيره أن الدين مجرد واجهة لأولئك الذين يخفون خلفها أفعالهم الدنيئة؛ وإلا فلماذا لا يوجهون هجماتهم إلى العدو الصهيونى؟

كيف ترى المشهد الراهن للعالم العربى والإسلامى؟

أعتقد أننا وصلنا إلى قمة المأساة التى لا قمة بعدها، ونحن بمنطق فلسفة التاريخ وصلنا إلى ما لا يمكن تخطيه أو تصوره من الأزمات وأصبحنا أعداء ديننا وأنفسنا، فالإسلام الآن أكثر تقدمًا من جميع المسلمين.

لماذ يتجنب البعض التعامل مع فكرة الخلافات السياســية بين الصحابة باعتبارها بابًا للفتنة؟

الإسلام معجزته العقل ومخاطبته، وبالتالى فلا قداسة فيه للبشر، ولدينا نموذج فى عصر الإسلام الزاهى لم نجد تأريخاً للأشخاص بمن فيهم الخلفاء بعد الرسول، وإنما توافر توثيق

للطبقات فى المجتمع : الأطباء والفقهاء والنحويون واللغويون .وينســى البعض أن الإسلام لم يتم تمجيده من منظور تمجيد الأشـخاص، ولدينا واقعة عزل الخليفة عمر بن الخطاب للقائد العسكرى خالد بن الوليد، نظراً إلى افتتان بعض الناس به وظنهم أن النصر لم يأت إلا على يديه، فقرر عزله لإرسـاء مبدأ أن الجيش كله كجماعة مؤمنة بالفكرة هو ما يحقق النصر .بالتالي، تجنب الحديث عن الخلافات بين الصحابة أو الفتن فى التاريخ الإسلامى هو عكس ما يرمى إليه الإسلام، لأن النهضة تبدأ بالبحث عما هو مشترك ومعرفة اختلافنا واتفاقنا، ولنلاحظ كيف تمّ صهر الفرس والروم فى وحدة التاريخ الإسلامى.

يبرر البعض اسـتخدام تعبير الفتنة ضد المعارضين بأنه يأتى للحفاظ على الدولة ومنع تفتتها؟

اسـتخدام وصف «الفتَّان» لنعت المعارض لنظام الحكم هو استمرار لفكرة استخدام كلام بظل دينى فى أمر سياسي .ثمة معارضون لكل حكم فى الدنيا، وإذا كان البشر لم يجمعوا على الله نفسه سبحانه وتعالى فكيف يتحقق الإجماع على حاكم .وأشير هنا إلى أن الخلفاء الأربعـة بعد وفاة الرسـول كانـت لهم معارضة قوية، والخلاف السياسـى يجب أن يظل بعيـدًا عـن الدين، وحقيقة الإسـلام أنه يفصل بين ما هو دنيوى ومـا هو ديني، والواقع أن لا يوجد شـىء اسمه نظام "الخلافة الإسـلامية"، ولدينا كتاب الشيخ على عبد الرازق «الإسـلام وأصول الحكم» الذى أصل لتلك المسـألة، لأننا بصدد أمر يتعلق بالنظام الأنسب لإدارة أمور الحياة.

يتوجب علينا أن نكون واعين لمواجهة ما أسميه الفتن المصطنعة، ولدينا مثال الأحداث والعصابات فى ليبيا وسورية .أتذكر أحيانًا سؤال الرئيس الليبى الراحل معمر القذافى، من أنتم؟ فى الواقع ثبت أن غالبية من يحاربون فى ليبيا مرتزقة جاؤوا من أفغانستان وغيرها. عمومًا، العالم العربى والإسـلامى لن يصل إلى موقف أكثر تأزمًا من الواقع، ونعيش مرحلة نكون أو لا نكون.

فى أى مرحلة ترى الربيع العربى فتنة أو ثورة؟

الشعوب معذورة فى طموحها إلى المشاركة السياسية ومطالبتها بالديمقراطية؛ إلا أن القوى الاسـتعمارية استغلت الظرف وأسهمت فى تعميق فجوة الخلافات، وبهدف واحد تفكيك وتشتيت الدول المختلفة، باستخدام مجموعة من المقاتلين لزرع الفتن والمؤامرات يتنقلون من

بلد إلى آخر، فمن العراق إلى سورية ومرورًا بليبيا .والخلاصة أن الفتن تخطيط صهيونى والتنفيذ بأياد عربية وإسلامية.

لماذا يصف المؤرخون والفقهاء الثورات بأنها فتنة؟

أى فريق يمسك بمقاليد السلطة يسارع إلى القول بضلال الفئة الأخرى التى تعارضه ويتهمها بمحاولة تشكيل فتنة فى المجتمع، ويحاول صبغ الخلاف دينيًا لا يجب أن نستخدم تلك المصطلحات فى المستقبل، ومن المحرمات أن يتم استخدام الدين لنصرة فئة على أخرى.

ركّز بعض المستشرقين فى دراسات التاريخ الإسلامى على مناطق الخلافات السياسية. ثمة نوعان من المستشرقين، أولهما ينتهج الأسلوب العلمى ويستخدم ضميره المهنى بصرف النظر عن المصالح السياسية، ربما أكثر من المسلمين أنفسهم، وقدم خدمات جليلة للحضارة الإسلامية أمثال «لويس ماسينيون» الفرنسى، وغوستاف لوبون الذى وضع موسوعة حضارة العرب .وفى المقابل، نجد فريقًا يعمل بدافع تآمرى استعمارى ويتستر تحت قناع الفكر والبحث وتقديم صورة المسلمين للغرب، فيما يستهدف صناعة أبحاث تزرع الفتنة.

كيف تعامل فلاسفة المسلمين مع الفتنة؟

بحكم تفكيرهم ووعيهم، لم ينخرط الفلاسفة فى تلك الفتن وكانوا يحذرون منها .عندما أراد الحمدانى التفاخر كحاكم بوجود الفيلسوف الشهير فى بلاطه، وعرض عليه أن يكون حاضراً فى قصره وفتح له أبواب الدواوين، ردّ الفارابى بأنه لا يريد سوى أن يقيم فى حديقة القصر وأن يوفر له مصباحاً حتى يتمكن من القراءة .كذلك فإن حياة ابن رشد عامرة بالنصائح لحكام الأندلس للوحدة وتجنب الشقاق، ما يعنى ضرورة البعد عن احتمالات ظهور الفتن فى المجتمع .ونجد أيضاً فى كتب الفلاسفة المسلمين مصطلحات تتحدث عن مصلحة الأمة أكثر من التطرق إلى الحاكم .يتحدثون عن أمة المسلمين بعيدًا عن الحاكم أو النظام.

فى المقابل، كيف ترى تعامل الفلاسفة الأوروبيين مع سيطرة الكنيسة على إدارة شئون الناس فى مرحلة ما قبل النهضة الأوروبية؟

كان الأمر واضحًا، فالفلاسفة ضاقوا بسيطرة الكنيسة على حياة الناس إلى حد احتكار صكوك الغفران، وإشاعة أن مفاتيح الجنة موجودة لدى القساوسة، وتداخل الفلاسفة

بأطروحاتهم لمواجهة التعديات الكنسية، وأصبح المعيار نجاح الحاكم فى تحقيق مطالب الناس وليس بتدينه ورضا الكنيسة عنه. وإذا قارنا ما طرحه الغرب من علمنة الدولة، بالعرب والمسلمين، فالدين الإسلامى دين علمانى بالمنطق، ولسنا بحاجة إلى المصطلح.

كيف نقضى على الفتن الطائفية فى المجتمعِ العربى؟

بداية، يجب أن يكون التعليم مدنياً، وتدخل القيم الدينية بشقيها فى إطار مقرر للأخلاق يحمل القيم التربوية والأخلاقية فى الأديان المختلفة، وهذا يعنى شرح القيم بأدلة من القرآن والإنجيل.

ماذا عن الجوانب الاجتماعية؟

الفقر هو الفتنة الحقيقية، ومحاولات التفرقة الدينية لم تفلح فى شق المجتمع رغم تكرارها، ومن اللازم القضاء على الفقر، فلا يصح أن يسكن البعض فى المقابر والبعض الآخر فى القصور .ورغم قدرة المصريين مثلاً على تحمل الظروف الصعبة، فإن ذلك لا يعنى أن تضغط على الناس بأكثر من اللازم .يجب أن تتحقق العدالة الاجتماعية .فى مصر القديمة كانت أدبيات الخطاب السياسى تشترك فى مصطلح واحد متكرر هو «ماعت» أى العدالة، وشكاوى الفلاح الفصيح عامرة بالبحث عنها .حتى إن الحاكم كتبها على قبره كما كتبت حتشبسوت على مقبرتها «كان غذائى العدالة». والآن وصلت معدلات الفقر فى الوطن العربى إلى مستويات غير محتملة أو مسبوقة، وهذا أساس الفتنة، بالإضافة إلى الأمية.

ما الذى يعوق مسألة تحقيق التنمية فى الوطن العربى؟

يبدأ التخلص من وهم التنمية والتقدم بمعايير الغرب الرأسمالى من إدراك أن آليات المنظومة الرأسمالية العالمية كلها تعمل لصالح التنمية والتقدم والتفوق الغربي، وليس لصالح الشعوب الأخرى بأى حال من الأحوال .من ثم، علينا تنمية مواردنا المستقلة وإبداع الوسائل الكفيلة بصنع التقدم على الطريقة العربية الإسلامية .وليس مهمًا أن نملك الثروات الطائلة، بل الأهم أن نملك ما يكفينا من الغذاء والكساء وسبل العيش الكريم من دون الاعتماد على المساعدات الغربية .الاقتصاد والتنمية الحقيقيان يقومان على الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية التى حبانا الله بها، وليأخذ كل شخص قدر حاجته وقدر جهده وعمله، وليتم التبادل بين الجميع لفوائض إنتاجهم بعدالة فى التسعير وعدالة فى الاستغلال لحقوق المنتج الحقيقى وهو العامل، فضلاً عن مراعاة المساواة والعدالة التى يتحقق بموجبها الرضا للجميع سواء عاملين أو أصحاب رؤوس أموال.

كيف ترى المستقبل من منظور أستاذ الفلسفة؟

استعادة الماضى أصبحت فى نظر كثيرين منا الحلم البعيد المنال، وأصبح هو الواقع الذى نتمنى أن نعيشه، وفى هذا يكمن الخطأ الكبير فى حياتنا المعاصرة؛ فليس معنى أن ماضينا حافل بإنجازات حضارية حققها الأجداد سواء فى العصور الأولى للتاريخ الإنسانى عندما نجحوا فى صنع أولى الحضارات الكبرى فى التاريخ، أو فى العصور الإسلامية الزاهية عندما استعادوا الريادة الحضارية بفضل إيمانهم العميق بالدين الإسلامى وفهمهم الدقيق لدعوته إلى العلم والعمل، وذلك بموجب إيمان قوى بالله لا يعرف حدودًا للاجتهاد ولا يضع قيودًا أمام أى إبداع .أقول ليس معنى أن أجدادنا قد حققوا تلك الريادة الحضارية أن نركن نحن إلى اجترار ما أنجزوه ونظل نتغنى به إلى ما لا نهاية، فيكون التغنى بأمجاد الماضى بديلاً عن العيش فى الحاضر والتفكير فى المستقبل.

فى سطور

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة فى جامعة «القاهرة»، ولد عام١٩٥٣م فى قرية «شوبر» فى محافظة «الغربية» المصرية، تخرج فى كلية الآداب فى جامعة القاهرة عام ١٩٧٥، ثم حصل على درجة الماجستير فى الفلسفة فى موضوع بعنوان «فكرة الألوهية عند أفلاطون»، ونال درجة الدكتوراه فى الفلسفة اليونانية عن نظرية العلم الأرسطية بمرتبة الشرف الأولى من الجامعة ذاتها.

درس النشار مناهج الفلسفة فى جامعة القاهرة حتى وصل إلى درجة الأستاذية فى عام ١٩٩٧م، كذلك أعير فى جامعة الإمارات العربية المتحدة، لمدة ست سنوات متصلة(١٩٨٦م – ١٩٩٤م)، وترأس قسم الفلسفة فى جامعة القاهرة لمرات بين عامى ٢٠٠٢م و ٢٠١٤م، وتولى عمادة كلية التربية – جامعة القاهرة فى فرع بنى سويف بين عامى ٢٠٠٢م و ٢٠٠٥م، ثم عمادة كلية العلوم الاجتماعية فى جامعة ٦ أكتوبر، بين عامى ٢٠٠٥م و ٢٠٠٧م، ثم عمادة كلية رياض الأطفال لمدة أربع سنوات من ٢٠٠٧م حتى ٢٠١١م.

قدم النشار للمكتبة العربية أكثر من خمسين مؤلفاً علمياً فى مجالات الفلسفة المختلفة، خصوصًا فى الفلسفة اليونانية والفكر المصرى القديم، من بينها: المعجزة اليونانية بين

الحقيقة والخيال، نحو تأريخ جديد للفلسـفة القديمة، نحو تأريخ عربى للفلسـفة، الفكر الفلسـفى فى مصر القديمة، نحو تأريخ عربى للفلسفة، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسـفة الإسـلامية والغربية، نظرية المعرفة عند أرسـطو، فلسـفة التاريخ – معناها ومذاهبها، الفكر الفلسفى فى مصر القديمة، رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة فى القرن العشرين، فضلاً عن سلسلة أعلام التراث الفلسفى المصرى.

❑❑❑